الحنين إلى مصر في شعر البهاء زهير
بين الباعث والفن

إعــداد

دكتور

حامد سعد على خضرجي جاويش

مدرس الأدب والنقد بكلية الدراسات

الإسلامية والعربية بنين بدسوق

ملخص البحث

لقد كان البهاء زهير مرتبطا بالبيئة المصرية أشد الارتباط ؛ ومن ثم كان دائم الحنين إلى حياة جميلة عاشها فيها ثم فارقها، وتغنى بجمال طبيعتها التي هفت نفسه إليها، وتذكر أهلا وأحبابا عاش معهم في ظلالها أجمل الأيام، مما دل على شدة تعلقه بهذا الوطن، وانتمائه العاطفي له ،لا سيما أنه كان معروفا بالصدق والوفاء والإخلاص.

ولقد عايش البهاء زهير تجربة الفراق للوطن والأهل؛ فجاء حنينه خليطا من الحزن ومعاناة آلام البعاد والحرمان ممزوجاً بنغمة عاطفية جعلته قوي التأثير في متلقيه، هذا فضلا عن سلاسة التعبير، وصدق المشاعر.

وخلاصة القول أن الحنين إلى الوطن عاطفة إنسانية من أقوى وأجمل العواطف الإنسانية؛ لذا وجدنا البهاء زهير لا يلتفت إلى الوطن بعينه فحسب، بل بأعماق قلبه أيضا، ويرى في ذلك رابطا إنسانيا ونفسيا وقوميا، لاسيما أن مصر أرض المنشأ لا أرض المولد، ومع ذلك وجدنا له شعورا قاتلا لفراقها .

Abstract

Al-Baha Zuhair was associated with the Egyptian environment most closely; he was always nostalgic for a beautiful life in which he lived and then separated, and sang in the beauty of his nature, which inspired himself to it, and reminded Ahlan and loved ones lived with them in the shadow of the most beautiful days, indicating the intensity of his attachment to this country and its belonging His emotional, especially that he was known for honesty, loyalty and loyalty.

Al-Baha Zuhair lived the experience of separation for the homeland and the family; Hanina came in a mixture of sadness and the suffering of the suffering of Baad and deprivation combined with an emotional tone that made him a powerful influence in his recipient, as well as smooth expression, and sincerity of feelings.

In conclusion, nostalgia is a human emotion of the most powerful and most beautiful human emotions, so we found Baha Zuhair not only paying attention to the country, but also deep in his heart. He sees it as a human, psychological and national link, especially that Egypt is the land of origin not the land of birth. It has a deadly sense of separation.

مُقَدِّمَة

الحمد لله الحنان المنان الذي امتن على عباده بصنوف النعم، خلق الإنسان من عدم وعلمه ما لم يعلم، والصلاة والسلام على خير البشر، وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،

فالحنين من أقدم الفنون في الشعر العربي ومن أصدقها عاطفة، تجيش به النفس البشرية حينما تحس بالغربة جراء فراق الإنسان لوطنه وأهله وأحبابه لأسباب وظروف قد تضطره لذلك.

وقد كان للبهاء زهير نصيب من هذا الفن ليس بالكثير لكنه من أجود شعره وأحسنه، فقد عبر عن حنينه لوطن تركه، وأودع فيه مفتقدات غالية من الأهل والأقرباء والأحبة والأصدقاء والذكريات.

وتبرز أهمية هذه الدراسة في إلقاء الضوء على جانب من جوانب شعر البهاء زهير غير مطروق، وقد سبق هذا البحث دراسة جوانب أخرى من شعره لعل من أهمها: (الأسلوب الشعري عند البهاء زهير)،رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية بالمنصورة ، إعداد الباحث / خالد محمد عبد الحميد صبرة ، و(الروح المصرية عند البهاء زهير وإسماعيل صبري)، رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية بإيتاى البارود ، إعداد الباحث/ فايز عبد الحميد النجار، و(الصورة الفنية في قصيدة المدح بين سناء الملك والبهاء زهير تحليل ونقد وموازنة) رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية بالقاهرة ، إعداد الباحث / علاء أحمد السيد عبد الرحيم .

وقد تطلبت الدراسة المنهج التحليلي؛ حيث تناولت النصوص وتحليلها، وذلك للتعرف على كوامنه النفسية التي اكتنفت نفسية الشاعر حال حنينه.

فعقدت العزم وسألت من الله العون فهو نعم المولى ونعم النصير.

وقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة، وتمهيد ، وفصلين، وخاتمة.

- **أما المقدمة** فقد بينت فيها دافع اختياري لهذا البحث، ثم أوضحت أهميته في مجال الدراسات الأدبية، والتخطيط الذي احتواه.
- **وفي التمهيد**:تحدثت فيه عن التعريف بالشاعر، ومكانته الاجتماعية، والحنين إلى الوطن والبهاء زهير.
- وجاء **الفصل الأول**:ليتحدث عن بواعث الحنين إلى مصر في شعر البهاء زهير.
- ثم تناولت في **الفصل الثاني**: الخصائص الفنية لشعر الحنين لمصر عند البهاء زهير.
- وتأتى **خاتمة** هذا البحث لتسجل أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة.
- ثم المصادر والمراجع وأنهيت بفهرس للموضوعات.

تمهيد

(التعريف بالشاعر)

(الشاعر – نسبه، مولده، ووفاته)

هو زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر بهاء الدين أبو الفضل وأبو العلاء الأزدي المهلبي المكي ثم القوصي المصري[١]، ولقب ببهاء الدين الكاتب، وكنَّاه ابن خلكان بـ (أبى الفضل)[٢]، وكنَّاه صاحب النجوم الزاهرة بـ (أبى العلا)[٣]، أما صاحب الشذرات فقد جمع بين الكنيتين في كتابه.

وقد دار خلاف بين المترجمين له في تاريخ ولادته، والراجح أنه ولد بمكة عام ٥٨١م وهو ما عليه أغلبهم، ونقل ابن خلكان عن البهاء زهير أنه ولد في خامس ذي الحجة، وذكر الحسيني أنه ولد في ليلة الخامس من ذي الحجة[٤].

ودار الخلاف بينهم أيضا حول هل هو مصري الدار والمولد أو النشأة فقط؟ والراجح أنه ولد بالحجاز في وادي نخله قرب مكة، وقد هاجرت أسرته إلى مصر وهو طفل صغير، ولعل ما يدل على ذلك ما وجدناه في ديوانه من حنين إلى موطنه الأول (الحجاز) حيث يقول:

أحن إلى عهد المخصب من منى وعيش به كانت تروق ظلاله

---

(١) ينظر : سير أعلام النبلاء – الذهبي – تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة ط٣ : ٢٣ / ٣٣٥ ، والوافي بالوفيات – للصفدي – تحقيق / أحمد الأرناؤوط ، وتركى مصطفى – إحياء التراث – بيروت عام ٢٠٠٠م : ١٤ / ١٥٦ ، والأعلام – للزركلي – دار العلم للملايين – ط٥ عم ٢٠٠٢م : ٣ / ٥٢ .

(٢) وفيات الأعيان – لابن خلكان، ت / محمد محي الدين عبد الحميد – دار نهضة مصر : ٢/ ٨١ .

(٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – لابن تغرى بردى ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الأولى القاهرة : ٧ / ٦٢ .

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء – للذهبي : ٢٣ / ٣٣٥ .

ويـا أسـفى إذ شـــط عـنى مـــزاره ... ويـا حـزني إذ غـاب عـنى عزالـه
وأذكـــر أيـام الحـــجاز وأنثـنى ... كـــأني صـــريع يعتريـــه خـــباله
هنـاك تـرى بيتـاً لزينـــب مشـــرقاً ... إذا جئـت لا يخفى عليـك جلالـه
فعـرض بـذكرى حيـث تسـمع زينـب ... وقل ليس يخلو ساعة منك باله[1]

ثم استقرت أسرته بمدينة قوص بالصعيد واتخذت مقرا لها، حيث نشأ الشاعر وتعلم بها [2].

ومدينة قوص التي قطنها الشاعر ودرج بين مسالكها وتربى وترعرع بها، كانت إحدى المدن المشهورة بمصر؛ إذ تعد ثالث المدن المصرية بعد القاهرة والإسكندرية وقتئذ، فكانت مقرا لأعمال حكومية كبيرة، ويجتمع فيها كثير من العلماء والفقهاء والأمراء، كما كانت بوابة للمسافرين من مصر والمغرب والأندلس في البحر الأحمر عبر(سواكن)، و(عيذاب) إلى الحجاز، ومن أجل هذا نشطت فيها حركة تجارة واسعة، كما شهدت نهضة علمية وأدبية، ومن ثم كانت محط أنظار أسرة الشاعر وغيرها من الأسر الطامحة، حيث قد نال فيها البهاء زهير تعليمه، وبين جنباتها ذاع صيته، وطارت شهرته بالبلاد، ومن خلال معرفته واتصاله بالأمراء في تلك المدينة اتصل بغيرهم في أنحاء البلاد، وخصهم بمدحه، وأشاد بهم في شعره، فقد أخلص لهم ووسمهم فاتحين ومنتصرين ومدافعين عن الإسلام ومقدساته وخصهم بقصائد لا تبلى على مر الدهور والأزمان، فأجزلوا له العطاء والنعماء[3].

لذا نستطيع أن نبرر سبب هجرة أسرة الشاعر من الحجاز إلى مصر رغم صمت المؤرخين عن ذكره، كما أن الشاعر نفسه لم يحدثنا عنه؛ أقول قد

---

(١) ديوان البهاء زهير، ت – محمد أبو الفضل، ومحمد طاهر الجبلاوي ، الطبعة الثانية، دار المعارف، سلسلة الذخائر : ٢١٠ .

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات – للصفدي: ١٤ / ١٥٦، الفن ومذاهبه في الشعر العربي د/شوقي ضيف، دار المعارف بمصر – ط ١٢: ٤٩٧.

(٣) ينظر: المرجع السابق ذاته والصفحة.

يكون السبب: البحث عن الثراء، أو الرغبة في تعليم ابنها الشاعر والبحث عن حياة أفضل له وقد كان.

مكانته الاجتماعية:

كان البهاء زهير كريما فاضلا، حسن الأخلاق، جميل الأوصاف، مشهورا طارت شهرته، حيث اتصل بالصالح أيوب وخدمه، واستصحبه في أسفاره إلى بلاد الشرق الشام وأرمنية وبلاد العرب، وأخلص البهاء لصاحبه لدرجة أنه لما أسر الصالح في قلعة الكرك بعد أن تخلى عن جنده وكان البهاء زهير في صحبته، فأقام بنابلس لا يبرحها وفاء له حتى أفرج عنه وعاد حاكما على مصر(١).

ولما كان الملك الصالح أيوب على عرش مصر قلد البهاء زهير أعلى المراتب، وكافأه على إخلاصه، واتخذه وزيراً، وصديقاً مقرباً، وظل على تلك الحال إلى أن أرسله إلى الناصر صاحب حلب برسالة لم ينجزها، فغضب عليه وأبعده، ثم اتصل بالناصر في الشام وكان في خدمته، وله فيه مدائح كثيرة(٢).

ولقد عاصر البهاء زهير عدداً من الشعراء التقى بهم في مدينة قوص التي نشأ بها، ومن بين هؤلاء الشعراء جمال الدين بن مطروح، الذى كان صديقا له ورفيقا، التحقا معا في خدمة الملك الصالح، وعرف بحسن وصفه لمشهد أسر ملك فرنسا بالمنصورة حين قال:

قل للفرنسيس إذا جئته ... مقال حق عن قئول نصيح
دار ابن لقمان على حالها ... والقيد باق والطواشي صبيح(٣)

مكانته الشعرية:

لقد وصفه صاحب معجم المؤلفين بأنه أديب ناثر، ناظم، وذكر أن من آثاره ديوان من الشعر(٤)، ترجم إلى الإنكليزية(٥)، يشتمل على معظم

(١) ينظر: الوافي بالوفيات – للصفدي: ١٤ / ١٥٩.
(٢) المصدر السابق نفسه والصفحة.
(٣) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٤٩٧.
(٤) معجم المؤلفين – لرضا كحالة ، مكتبة المثنى ، دار إحياء التراث العربي– بيروت: ٤/ ١٧٨.
(٥) والأعلام – للزركلي – دار العلم للملايين – ط٥ عم ٢٠٠٢م : ٣ / ٥٢ .

أغراض الشعر، أكثره في الغزل، وأقله في المديح، ونظم في الرثاء والهجاء، والوصف والحنين، ويلاحظ على شعره أنه يفضل الأوزان القصيرة، كما يميل إلى المقطوعات الصغيرة.

وقد امتاز شعر البهاء زهير بالصدق والعفوية، والرقة والعذوبة، فهو كما وصفه النقاد بالسهل الممتنع، وهى سمات بارزة في شعر الحنين كما سنبين في موقعه- إن شاء الله -يقول سعد الدين بن عربي في وصف شعره:

لشعر زُهَيْر في النُّفُوس مكانة فقد حَاز من ألبابها أوفر الْحَظ

لقد رق حَتَّى قلت فِيهِ لَعَلَّه يحاول إبراز الْمعَانِي بِلَا لفظ[1]

وقد قام بجمع وتحقيق ديوان البهاء زهير محمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد طاهر الجبلاوي، ونشرته دار المعارف، ضمن سلسلة الذخائر، كما نشرته دار صادر بيروت للطباعة والنشر عام ١٩٨٦م، وسنعتمد على الطبعتين في دراستنا إن شاء الله تعالى.

وفـــــاته:

لقد حدث بمصر والقاهرة وباء عظيم حتى لم يكد يسلم منه أحد، وكان فيمن أصابه هذا الوباء البهاء زهير، فمرض به أياما، ثم توفى قبيل المغرب يوم الأحد رابع ذي الحجة، سنة ست وخمسين وستمائة، ودفن من الغد بعد صلاة الظهر بالقرافة الصغرى بتربته بالقرب من قبة الإمام الشافعي (ﷺ) في جهتها القبلية[2].

❁❁❁❁❁

(١) الوافي بالوفيات – للصفدي : ١٤ / ١٥٦ .

(٢) مقدمة ديوان البهاء زهير ، ت – محمد أبو الفضل ، ومحمد طاهر الجبلاوي : ١٢ .

الحنين إلى الوطن والشاعر البهاء زهير

الحنين موضوع قديم قدم الشعر العربي، أكثر منه الشعراء؛ لأنه يعبر عن عاطفة إنسانية صادقة، ويرتبط غالبا بالغربة التي يفارق فيها الإنسان وطنه وأهله وأحبابه لظروف مختلفة.

فمنذ وُجِد للإنسان وطن ينعم به بين أهله وأصحابه شعر بقوة الرابطة التي تربطه بهم، وبهذه البلاد التي شهدت خلقه وحياته وكانت مسرحا لتطوراته النفسية والفكرية(١).

وكما حاز شعر الحنين على اهتمام الشعراء القدامى، فاحتل مساحة كبيرة في دواوينهم، وبرزت ملامحه واضحة في إبداعاتهم، نجده يحظى باهتمام النقاد القدامى ـ أيضا ـ، حيث عدّوه غرضاً شعرياً كسائر أغراض الشعر المعروفة، فهذا قدامة بن جعفر يضعه تحت ما يسمى بباب النسيب حيث قال: "وقد يدخل في النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة، والبروق اللامعة، والحمائم الهاتفة، والخيالات الطائفة، وآثار الديار العافية، وأشخاص الأطلال الداثرة"(٢).

فالحنين هو " نزوعٌ إلى كل ما فقد تغذيه الذاكرة، بخاصة وأن الماضي يزداد جمالا على مر السنين كما يرتبط الحنين بالأمل، فهو يجعل المهاجر يأمل بالعودة إلى وطنه يوماً، كما يجعل المحب يأمل بالرجوع إلى أيام الوصال مع الحبيب"(٣).

---

(١) الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، د – إبراهيم حور – دار نهضة مصر للطبع والنشر : ١٨

(٢) نقد الشعر – قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي ، ت٣٣٧هـ – مطبعة الجوائب – قسطنطينية الطبعة: الأولى عام ١٣٠٢هـ : ٤٣ .

(٣) شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية – رسالة ماجستير – سليمان رولا ناصر ، جامعة دمشق (د . ت) : ١٨٤ .

ومن ثم لا يتحقق الشعور الإنساني بالغربة والحنين إلى الوطن إلا تحت وطأة الإحساس بالبعد عنه، سواء أكان هذا البعد طوعاً أم كرهاً، فلا ترى حنيناً لمقيم بين أهله وأحبابه إلا تكون غربة نفسية.

أما عن مفهوم الوطن كما جاء في كتب المعاجم "الوطن حيث أقمت من بلد أودار"[١]، وبناء على هذا التعريف فإننا نجده ينسحب على أي مكان ينزل به الإنسان، ويسكن فيه، ويعد مستقراً له ومقاماً.

ولم يشترط الأقدمون في هذه الإقامة مدة من الزمن، وحقبة من الحقبات[٢]، ويؤيد هذا ما قاله صاحب لسان العرب: "فكل مقام أقام به الإنسان لأمر، فهو موطن"[٣].

والشاعر العربي بفطرته ذو عاطفة قويّة وإحساس مرهف، وشعور رقيق، وخيال دافق، امتاز بحبه لوطنه، وعبر عنه بنصوص رائعة مؤثرة.

والبهاء زهير لم يكن بدعاً من الشعراء، فهو شاعر ذو عاطفة جياشة، يتسم بصفات عرف بها كالوفاء، والصدق والمروءة، وهى سمات بارزة في شعر الحنين وباعثة عليه، وبالرغم من قلة شعر الحنين عنده ،إلا أنه يعد من أصدق شعره عاطفة، وأعذبه مورداً، حتى صار مرآة عاكسة لنفسه الطيبة، وأخلاقه الفاضلة، والناظر في شعر الحنين عند البهاء يجده ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول:

حنينه إلى الحجاز (أرض المولد)وطنه الأول، إذ نجده يحن إلى تلك البقاع التي قضى بها شطرا من حياته بقصيدتين، إحداهما المسماة بـ (بيت زينب) والتي يقول فيها:

---

(١) المخصص لابن سيده ، ت/ خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ – ١٩٦٦م : ١ / ٥٠٣.

(٢) الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، د/إبراهيم حور: ٩.

(٣) لسان العرب لابن منظور– دار صادر بيروت للطباعة والنشر عام ١٩٥٥م: ٤٥١/١٣.

أحن إلى عهد المخصب من منى ... وعيش به كانت تروق ظلاله
ويا حبذا أمواهه ونسيمه ... ويا حبذا حصباؤه ورماله
ويا أسفى إذ شط عنى مزاره ... ويا حزني إذ غاب عنى عزاله
وكم لي بين المروتين لبانة ... وبدر تم قد حوته حجاله
مقيم بقلبي حيث كنت حديثه ... وباد لعينى حيث سرت خياله
وأذكر أيام الحجاز وأنثنى ... كأنى صريع يعتريه خباله
ويا صاحبي بالخيف كن لي مسعداً ... إذا آن من ذاك الحجيج ارتجاله
هناك ترى بيتاً لزينب مشرقاً ... إذا جئت لا يخفى عليك جلاله
وخذ جانب الوادي كذا عن يمينه ... بحيث القنا يهتز منه طواله
هناك ترى بيتا لزينب مشرقاً ... إذا جئت لا يخفى عليك جلاله
فقل ناشداً بيتاً ومن ذاق مثله ... لدى جيرة لم يدرى كيف احتياله
وكن هكذا حتى تصادف فرصة ... تصب بها ما رمته وتناله
فعرض بذكرى حيث تسمع زينب ... وقل ليس يخلو ساعة منك باله
عساها إذا ما مر ذكرى بسمعها ... تقول فلان عندكم كيف حاله[1]

وما جاء في القصيدة من ألفاظ موحية قد صورت لنا مدى حزن الشاعر وتحسره على ترك وطنه الذي ولد فيه، إنه لشعور صادق حقيقي لا متخيل كما رأى الدكتور أحمد بدوى، حيث ذهب إلى أن هذا الشعر ليس بدليل على أن البهاء زهير يحن إلى موطنه الأول (مكة)؛ لأنه لم يمكث فيها طويلا، هذا فضلا عن أنه كان صغير السن، وأكد على ذلك بأن " الشاعر قد يكون

(١) ديوان البهاء زهير : ٢١٠ .

مستغلا بعده عن وطنه الأول في تخيل غرام قديم لم يجن منه نفعاً، وكم تخيل الشعراء مواقف للحب لم تمر بهم حقاً"(١).

ويمكن الرد على الرأي السابق بأنه – وإن كان ينطبق على شعراء آخرين –لا ينطبق على شاعرية البهاء زهير الذى اتسم شعره بالصدق الفني والواقعي، أضف إلى ذلك ما عرف عنه من وفاء لوطنه وأصدقائه، أما صغر السن فيمكن تفنيده بأنها البراعة والفطنة التي لا تعرف سناً معينا، هذا إلى جانب أن تاريخ مجيئه لمصر غير معروف قد سكت عنه المؤرخون.

كما نؤكد على صدق العاطفة بهذه الألفاظ التي استخدمها حيث تدل دلالة مباشرة على الحسرة والألم والحنين إلى تلك المرابع التي درج عليها وذلك كـ (أحن – أسفى – حزني – غاب – صريع – رمته – ذكر) وغيرها مما ورد في النص؛ إذ تبرز مدى معاناة الشاعر في بعده عن وطنه الأول.

هذا فضلا عن نسجه تلك القصيدة على بحر الطويل الملائم للحنين، وكذا توقيعه على حرف الروى (اللام) الموصولة بحرف الهاء المضمومة، ومن قبل أردفها بحرف المد الألف، كل هذا ساعد الشاعر على إخراج كل الشحنات والزفرات الناتجة جراء شعور صادق بالحزن والتحسر على ترك وطنه الأول.

أما قصيدته الثانية التي سماها بـ "عهود وحنين "فقد جاءت على بحر الطويل، يقول فيها:

سقى الله أرضا لست أنسي ... ويا طول شوقي نحوها وحنيني
بلاد إذا شارفت منها نجومها ... بدا النور في قلبي وفوق جبيني
منازل كانت لي بهن منازل ... وكان الصبا إلفي بها وقريني
تذكرت عهدا بالمحصب من منى ... وما دونه من أبطح وحجون

(١) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام – د/ أحمد بدوى ، ت٣٣٧هـ – القاهرة – مكتبة نهضة مصر١٩٥٢م : ٢٤٢ .

وأيامنـا بـين المقـــام وزمـــزم وإخـــواننا مـــن وافـــد وقـــطين
ويـا طيـب نـاد في ذرا البيـت وظـل يقـوم العـــود فيـه بحـين
وقد بكرت من نحو نعمان نسمة تحـدث عـــن أيـك بـه وغـصون
زمان عهدت الوقت لي فيه واسعا كمـا شـئت مـن حدبـه ومجـون
إذا العيش نضر فيـه للعين منظر وإذ وجهـه غـض بغـير غضـون[1]

وهكذا تضافرت ألفاظ القصيدتين في تأكيد صد العاطفة، وإلحاح التجربة، ووفاء (البهاء) لوطنه الأول الحجاز، وإذا أمعنا النظر في قوله: (تذكرت عهدا بالمحصب من منى)، وقوله: (وأيامنا بين المقـــام وزمـــزم) أدركنا أن الباعث له على هذا الحنين مرور الحجاج عليه، فكما ذكرت من قبل أن (قوص) كانت ميناء لعبور الحجاج إلى الأراضي الحجازية، فما كان منه إلا أن تذكر تلك الأماكن، فألبت عليه الذكرى والمواجع من حيث لا يدرى، وتداعت إليه الخواطر والذكريات الواحدة تلو الأخرى حتى أخرج لنا هذا الحنين المشجوب بعبق الذكريات.

القسم الثاني:

حنينه إلى وطنه الثاني (مصر) أرض النشأة حيث أحبها وأحب أهلها، ولكن اضطرته ظروف الحياة والمعيشة أن يفارق مصر التي أحبها، فشعر بغربة وحنين إلى وطنه، الذي فارقه بجسده وظل فيه بروحه، فجادت قريحته بقصائد روائع من عيون الشعر وهى: قصيدة (لا مصر مثل مصري)[2]، وقصيدة (حنين متجدد)[3]، وقصيدة (شوق وحنين)[4]، وقصيدة (وفاء)[5]،

(١) ديوان البهاء زهير: ٢٧٥.
(٢) ديوان البهاء زهير: ١٤٩.
(٣) السابق : ١٨٠.
(٤) السابق : ٢٣٥.
(٥) السابق : ٢٥٦.

وقصيدة (شوق إلى مصر)[١]، وقصيدة (ماذا لقيت من البعاد)[٢]، وقصيدة (إمام المحبين)[٣]، قصيدة (إمام المحبين)[٤]، وأيضا مقطوعة كتبها إلى أحد أصدقائه بمصر[٥]، وقصيدة (مرح القصور)[٦]، ومن خلالها سنتعرف على بواعث الحنين التي دفعت شاعرنا إلى القول.

❁❁❁❁❁

(١) السابق : ٢٦٤ .
(٢) السابق : ١٨٦.
(٣) السابق : ٤٧- ٤٨.
(٤) السابق : ٤٧- ٤٨.
(٥) السابق : ٧٧ .
(٦) السابق : ١١٦ .

الفصل الأول

بواعث الحنين إلى مصر في شعر البهاء زهير

وبعد القراءة المتأنية لديوان البهاء زهير، والتأمل في ظروف حياته الاجتماعية، والعوامل والملابسات التي أثرت فيه وتفاعل معها، أستطيع أن أقف على أهم بواعث الحنين إلى مصر في شعره مبينا لها وأهمها ما يلى:

أولا: الطبيعة :

لقد تأثر البهاء زهير بالطبيعة المصرية بما حوته من مظاهر جميلة أيما تأثر واستولت على مشاعره وأحاسيسه، وملكت عليه فؤاده، "واتخذها موضوعاً فكرياً عالياً، يثير في نفسه معاني الزمان والمكان والماضي والحاضر، فيستخرج منها فلسفة، وينتهى إلى أفكار وتصورات سامية " (١).

فالبيئة المصرية بالنسبة للبهاء زهير كانت تمثل له الأم الرؤوم التي يلجأ إليها في غربته، والصديق الحنون في محنته، حيث مزج بين عواطفه متعلقا بوطنه ومعتزاً ببيئته.

فها هو ذا يهيم بمصر ومظاهر جمالها، ويتخذ من هذه المظاهر وسيلة ليعبر من خلالها عما يجيش في صدره من حنين جارف تجاه وطنه مصر، التي لم ير مثلها في البلاد على الرغم من أنه رأى بلادا كثيرة لكنها لم تملك عليه فؤاده مثل مصر، حيث نجد ذلك في قصيدة "لا مصر مثل مصري" التي يقول فيها:

إلى كم حياتي بالفراق مريرة ... وحتام طرفي ليس يلتذ بالغمض
وكم قد رأت عيني بلادا كثيرة ... فلم أر فيها مايسر وما يرضى
ولم أر مصر مثل مصر تروقني ... ولا مثل ما فيها من العيش والخفض
وبعد بلادي فالبلاد جميعها ... سواء فلا أختاربعضا على بعض

(١) شعر الطبيعة في الأدب العربي د – سيد نوفل ، دار المعارف :ط الثانية : ٣١١ .

إذا لم يكن في الدار لي من أحبه فلا فرق بين الدار وسائر الأرض[1]

يحاول الشاعر أن يشركنا معه في الإحساس بمرارة الفراق لموطنه الذي درج على مهاده، ونهل من ينابيعه، وقطف من ثماره، مستخدما في ذلك (كم)التي هي للتكثير، وما ذلك إلا لشدة الجوي وفرط الصبابة، وشغف قلبه وتعلقه بهذه البيئية المصرية الساحرة، فمنذ أن فارقها في أحد أسفاره لم يغمض له جفن ؛ وأنى له ذلك وهو دائم العشق والتعلق بها، وبمظاهرها الجميلة، من أنهار وأشجار، ودور وقصور، ورفقة وأحباب، وحل وترحاب، ومع كثرة أسفاره وذهابه إلى بلدان كثيرة لم ترق له بلد من البلاد مثلما راقت له مصر؛ لأنها الوطن الذي يعيش في وجدانه.

وأكد الشاعر على هذه المعاني السامية، والعواطف المتأججة من خلال البيت الرابع الذي قرر فيه بأن جميع البلاد بعد وطنه – مصر – سواء، فلا مزية لبلد على أخرى بعدها ،معللا لذلك في البيت الأخير بأن الوطن بلا أحبة، لا مزية له على غيره .

كما نجده يؤكد هذه المعاني في قصيدة أخرى يهيم فيها وجدا بمصر ويتيه جلالا بسحر طبيعتها والعيش فيها ،وما تثيره في نفسه من شجن وحنين إلى هذا الموطن الذي لا يرضى عنه بديلا، إذ يقول:

حبذا دور على النيـ ـيل وكاسات تدور
ومسرات تموج ال أرض منها وتمور
وقصور ما لعيش نلته فيها قصور
كم بها قد مر لي– أستغـ ـفر الله – سرور
كل عيش غير ذاك الـ ـعيش في العالم زور
منزل ليس على الأر ض له عندي نظير[2]

(١) ديوان البهاء زهير: ١٤٩.
(٢) السابق: ١٤٩.

لقد تهيأت وسائل رغد العيش لشاعرنا في مصر بما لم يحدث لأحد غيره من الشعراء من مصاحبة الملوك والأمراء والعيش معهم، والاستمتاع بالبساتين والجواري والمغنيات والكأس والشراب، والأبيات السابقة يصور الشاعر فيها إحدى الليالي اللاهية في ظلال بيئة ساحرة، بنيلها وأشجارها، وقصورها قيانها، لذا نجده دائم الشوق إليها، يحن لها ويزرف الدمع مدرارا عند مفارقتها؛ إذ لا تضاهيها طبيعة أخرى، ويحن إليها حنين الأم الثكلى، فيقول:

أأرحل من مصر وطيب نعيمها ... فأي مكان بعدها لي شائق
وأترك أوطانا ثراها لناشق ... هو الطيب لا ما ضمنته المفارق
وكيف وقد أضحت من الحسن ... زرابيها مبثوثة والنمارقُ
بلاد تروق العين والقلب بهجة ... وتجمع ما يهوى من تقىٌ وفاسق
وإخوان صدق يجمع الفضل شملهم ... مجالسهم مما حَوَوهُ حدائق
أسكان مصر إن قضى الله ... فثم عهود بيننا ومواثق
فلا تذكروها للنسيم فإنه ... لأمثالها من نفخة الروض سارق
إلى كم جفوني بالدموع قريحة ... وحتام قلبي بالتفرق خافق
ففي كل يوم لي حنين متجدد ... وفى كل الأرض لي حبيب مفارق
ستأتي مع الأيام أعظم فرقة ... فما لي أسعى نحوها وأسابق[1]

فالشاعر في هذه الأبيات السابقة يصور لنا مدى حنينه لمصر، وأنه في غاية الأسى والحزن لفراق هذا الوطن الذي ملك عليه لبه بحسنه وجماله ، وكأنه جنة الله في أرضه، وقد استخدم في إيضاح ذلك الاقتباس من القرآن الكريم في قوله (زرابيها مبثوثة والنمارقُ) إشارة إلى قوله تعالى: {**وَنَمَارِقُ**

(١) ديوان البهاء زهير : ١٨٠ .

مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ[1]، وذلك ليبرز من خلاله مدى الأثر الذي يحدثه الحنين في نفسه إلى وطنه مصر؛ لذا نجده يعلنها صريحة بأنه لا يقدر على البعد عن أهلها، ولا تزال عيناه تذرفان الدمع مدرارا، وحنينه يتجدد تجاه هذه البيئة التي فارقها وله في كل موطن فيها أحباب، فارقهم بجسده لكنه لم يفارقها بروحه وشوقه.

ومن النماذج الدالة على أن جمال الطبيعة المصرية يثير في نفس الشاعر الحنين ويحرك فيها الكوامن، ويبعث فيها الشوق إليها ،فيصفها بأنها جنة تسر أعين الناظرين فيقول:

سقى واديا بين العريش وبرقة ... من الغيث هطال هناك وهتان
وحيا النسيم الرطب إذا سرى ... هنالك أوطان إذا قيل أوطان
بلاد متى ما جئتها جئت جنة ... لعينيك منها كلما شئت رضوان
تمثل لي الأشواق أن ترابها ... وحصباءها مسك يفوح وعقيان
فيا ساكني مصر تراكم علمتم ... بأني مالي عنكم الدهر سلوان
وما في فؤادي موضع لسواكم ... ومن أين فيه وهو بالشوق ملآن
عسى الله يطوى شقة البعد بينا ... فتهدأ أحشاء وترقأ جفان
على لذاك اليوم صوم نذرته ... وعندي على رأى التصوف شكران[2]

فحينما يستدعى الشاعر شريط الذكريات ويتذكر الطبيعة المصرية الغناء يهيم شوقا إلى هذا الوطن الذي يعيش في قلبه؛ متوجها إلى الله . عز وجل . أن يغمره بالسقيا، كما يستحضر عبق هذا النسيم الذي يمر بتلك الديار؛ فيوقظ فيه مشاعر الحنين والشوق، ويحن إلى كل جزء من أجزاء وطنه الذي لا يماثله في الحسن وطن آخر، فهُيّء له من فرط شوقه أن ترابه يفوح مسكاً ، وحصباءها ذهباً، فينادى على أهل مصر بأنه باق على عهده معهم لا ينساهم

(١) سورة الغاشية الآيتان : ١٥ – ١٦ .
(٢) ديوان البهاء زهير : ٢٦٤– ٢٦٥ .

أبداً، لما لهم في القلب من مكانة، ثم أخذ يدعو الله ـ ﷻ ـ أن يعيده إلى تلك البقاع الطيبة فيجمعه بأهله، وفي ذلك نعمة كبرى تستوجب الشكر والحمد.

وهكذا كانت الطبيعة المصرية بمظاهرها الماثلة الحاضرة، والمستدعاة المستحضرة، تثير في نفس البهاء زهير دفين الذكريات، وتهيج فيه لواعج الشوق والحنين وكوامن الشجن فيشق ذلك على نفسه، مما يجعله يضيق ذرعا بالغربة ويأمل في الرجوع والعودة إلى وطنه الذي عاش في وجدانه ولولا أن اضطر إلى مغادرته ما فارقه أبدا.

ثانياً: المحبوب:

وقد يكون الباعث على الحنين لمصر في شعر البهاء زهير تذكره للمحبوب، ومن ثم ينبعث الشوق إلى هذه الأرض التي أقلته ومحبوبه، والحنين إلى المحبوب" موقف شعوري صادق، تغذيه التجربة بالألم وترفده رقة الشاعر ورهافتها، فيفيض على لسان الشاعر قصائد ومقطوعات عذبة،تنم عن شفافية الإحساس، وزخم العواطف المتقدة في صدره"(١).

والمحبوب هو الحبيبة والمعشوقة التي تراءت في حنين الشاعر فأحس بفقدها وانعكست ذكرياته معها في أشعاره "(٢).

ومن النماذج التي ينبعث منها حنين الشاعر إلى مصر حيث كان يعيش في عزها مع أحبة له فيها، قصيدة (ماذا لقيت من البعاد)التي يقول في مطلعها:

أسفى على زمن التلاقي ... والعيش متسع النطاق
ورداء تيه كنت أر ... فل في حواشيه الرقاق
أيام مصر ليتها ... فديت بأيامى البواقي(٣)

(١) الحنين في شعر صدر الإسلام، حبيب محمود وهران، رسالة دكتوراه، جمعة تشرين، دمشق ٢٠٠٣: ١٢١.

(٢) ينظر : الحنين في الشعر الأندلسي ، د – محمد أحمد قالي : ٢٤١ .

(٣) ديوان البهاء زهير : ١٨٦.

وحنين الشاعر ليس مقصورا على مصر، ولكن يشمل الحبيب الذى سكنها، فكلاهما مبعث حنينه وشوقه، مما يؤكد ألم الفراق الذى يمور به وجدانه ،ونار الحنين التي تكوى فؤاده فيهيم شوقاً إليهما ،بعد أن تجرع كأس الأسى ومر الفراق، فيقول:

وبجانب الفسطاط لي قمر يعز له فراقي
قمر شربت له الفرا ق المر بالكأس الدهاق
وأرقت فيه دمي فكيـ ـف ألام في دمعي المراق
أحبابنا ماذا لقيـ ـت من البعاد وما ألاقى
لو تشرفون رأيتم من مصر نيران اشتياقي
نفس يصعده الجوى راق ودمع غير راق
ما كنت أصبر عنكم لو كنت منطلق الوثاقى[1]

ويبدو من خلال الأبيات السابقة أن البهاء زهير كانت طالت غربته وبعدت إقامته، إذ لم يكن الأمر بيديه، فلو كان حراً طليقاً ما صبر على بعد المحبوب؛ لذا نجده يبحث عن عزاء له يخفف من أشواقه وحنينه إلى محبوبه البعيد، فلم يجد إلا طيفها المحبوب الذي يداعب أجفانه ويزوره في نومه، فيقضى معه وقتاً سعيداً، فلم يكن يستطيع رؤية محبوبه إلا في خياله، فيقول:

ولقد تفضل طيفكم ليلاً وأنعم بالتلاقي
وسرى وبات مضاجعي والليل مسدول الرواق
فقطعت أنعم ليلة ما بين لثم واعتناقي
ثم انتبهت وجدت إثـ ـر الطيب في بردي باق
وأرى العواذل ليس وجـ ـهى من وجوههم الصفاق

(١) ديوان البهاء زهير : ١٨٦.

مـــذ كنـــت لم تكـــن الخيـــا نـــة في المحبـــة مـــن خلاقـــى[1]*

وحاول الشاعر التعبير بزيارة طيفها، علـه يجد فيه سلوّاً عن بعدها، ويجد فيه ما يخمد شيئاً من مشاعر الحنين والشوق، إلا أن ألم الفراق يحزن الشاعر ويؤلمه، فلا يجد إلا اجترار ذكرياته معها، فيصف محاسن المحبوبة، ورقة ألفاظها، متوجاً هذه الصفات بأنها مصرية تسكن في وجدانه، فيقول:

ولقـــد بكـــيت ومـــا بكـــ ـــيت مـــن الريـــاء ولا النفـــاق
برقيقـــة الألفـــاظ تحـــ ـــكى الدمـــع إلا في المـــذاق
لم تـــدر هـــل نطقـــت بهـــا الـــ ـــلأفواه أم جـــرت المآقـــي
لطفـــت معانيهـــا ورقـــ ـــت والحـــلاوة في الرقـــاق
مصـــرية قـــد زانـــها لطفـــا أنهـــا تســـكن في العـــراق[2]

وأحياناً يجعل الشاعر الحب مدخلا وباعثا للحنين إلى الوطن، فنراه يستهل قصيدته (إمام المحبين)بتذكر المحبوب الذى يثير في نفسه الحنين إلى وطنه معشوقه الأكبر يقول في مطلعها:

أنـا في الحـب صـاحب المعجـزات جـــئت للعاشقـــين بالآيـــات
كـــان أهـــل الغـــرام قبلـــي أميـــ ـــين حـــتى تلقـــنوا كلمـــاتي
فأنـا اليـوم صـاحب الوقـت حقـا والمحبـــون شـــيعتي ودعـــاتي[3]

وهذه القصيدة تحكى عشق البهاء زهير، عشقاً تذوب فيه نفس الشاعر حتى ينتهى به الحديث عن معشوقه الأكبر وطنه الذي يعيش في وجدانه مهما فارقه بجسده، فيذكر تلك الأيام التي عاشها في مصر بين أحضان نيلها أفضل أنهار الدنيا، ودفء لياليها الساحرة في الجيزة والجزيرة ،فينزف قلبه دماً

(١) المصدر السابق والصفحة .
(٢) السابق : ١٨٧.
(٣) ديوان البهاء زهير : ٤٧.

وتخرج منه الزفرات والآهات على زمان ولى وهو بعيد عن وطنه وأحبابه؛ فيقول:

فرعى الله عهد مصر وحيا ... ما مضى لي بمصر من أوقات
حبذا النيل والمراكب فيه ... مصعدات بنا ومنحدرات
هات زدني من الحديث عن النيـ ... ـل ودعني من دجلة والفرات
وليالي في الجزيرة والجيـ ... ـرةفيما اشتهيت من لذاتى
بين روض ظهور الطواويـ ... ـس وجو حكى بطون البزاة
حيث مجرى الخليج كالحية الرقـ ... ـطاء بين الرياض والجنات
ونديم كما نحب ظريف ... وعلى كامل ما نحب مواتي
كل شيء أردته فهو فيه ... حسن اللذات كامل الأدوات
يا زماني الذي مضى يا زماني ... لك منى تواتر الزفرات[1]

وهكذا نجد تذكر المحبوب يثير في نفس الشاعر الحنين إلى وطنه مصر؛ فيتذكر الأماكن التي جمعت بينه وبين محبوبه، وكذا الطبيعة الجميلة من أنهار وأشجار الشاهدة على الوصال، وليال ساحرة فاتنة كانت سبب التلاقي والوئام، ثم ينتهى به الحال داعياً الله أن يجمع بينه وبين محبوبه في تلك الأوطان الطاهرة الزكية.

ثالثاً: تذكر أصدقائه والوفاء لهم:

من الطبعي أن يحن المرء إلى أصدقائه، وإلى الذكريات التي قضاها معهم بما تحمله تلك الذكريات؛ لأنها تعد جزءاً من ماض عزيز يتذكره دائما ويحن إليه[2]؛ لأنهم يرسمون بداخلنا المعنى الحقيقي للحب والصداقة، كما

(١) السابق: ٤٨.
(٢) ينظر: الحنين في الشعر الأندلسي ، د – محمد أحمد قالى: ٢٨٧.

يرسمون أيضا معنى الوفاء والصدق، وقد عرف شاعرنا بوفائه لمصر وأهلها، فمما "يروى عن وفائه أنه لما أسر الصالح في قلعة الكرك بعد أن فر عنه جنده، وزهير في صحبته، أقام بنابلس لا يبرحها وفيا له حتى عاد إلى مصر حاكماً عليها، فكافأه على إخلاصه، واتخذه وزيره الأثير وصديقه الحبيب"[١]، فكان مما يثير في نفسه الحنين إلى مصر تذكره لأصدقائه وأحبابه الذين عاش بينهم، ومن النماذج الدالة عن شدة شوقه وحنينه إلى أصدقائه بمصر أن كتب لهم من آمد[٢] قائلاً:

كتبتهـــا مـــن آمـــد ... عـــن فـــرط شـــوق زائـــد
والله مـــذ فارقتـــكم ... لم تصـــف لي مـــواردى
فهـــل زمـــاني بعـــدها ... بقـــربكم مساعـــدى
فكـــم نـــذور أصـــبحت ... عـــليَّ للمساجـــد
وهبـــت بـــاقي عمـــري ... لكـــم بيـــوم واحـــد[٣]

وهنا يطفو على حديث البهاء زهير الملامح المصرية في أحاديثهم اليومية، وذلك كالذهاب للمساجد من أجل النذور للأولياء، فلشدة شوقه وحنينه لأصدقائه بمصر كان كلما تذكرهم نذر النذور إن جمعه الله بهم مرة ثانية، حتى أثقل كاهله بتلك النذور، فالأمر قد تعدي مسألة مجرد الحنين للأصدقاء وإنما لوطن عاش في وجدانه بكل عاداته وتقاليده، ويلح الشاعر على هذا المعنى في قصيدة أخرى ، فيقول :

فيا ساكني مصر تراكم علمتم ... بأني مالي عنكم الدهر سلوان
وما في فؤادي موضع لسواكم ... ومن أين فيه وهو بالشوق ملآن

(١) مقدمة ديوان البهاء زهير : ٤٧.
(٢) بلد قديم من مدن ديار بكر فتحت عام ٢٠هـ .
(٣) ديوان البهاء زهير : ٧٧.

عسى الله يطوى شقة البعد بينا فتهدأ أحشاء وترقأ جفان
على لذاك اليوم صوم نذرته وعندى على رأى التصوف شكران[1]

لقد أحب البهاء زهير مصر وملأت عليه شغاف قلبه وتذكر من سكنها من الأصدقاء والخلان، الذين ندم على فراقهم وأسف على نأيه ، وتمنى لقاءهم فتهدأ نفسه وتجف مدامعه، ناذرا لله الصوم شكرا إذا تحقق له الوصال بعد الفراق، مؤكداً بذلك على كون الحنين إلى لوطن والتعلق به نزعة إنسانية فطرية "لا ترتبط بخضرة الديار وغبرتها، بل إن الحنين إلى الوطن هوى داخلي يعتلج في نفوس الناس، ففي حنين الإنسان إلى وطنه، وشوقه إلى مدارج صباه ومراتع طفولته الأولى، نزوع إلى تربته الأولى التي تقلب على ثراها، وشوق إلى أقربائه وأخلائه الذين تربى معهم"[2] فنجده يذكر المجالس التي كانت تجمعه بصحبة طيبة قائلاً:

وإخوان صدق يجمع الفضل مجالسهم مما حَوَوهُ حدائق
أسكان مصر إن قضى الله فثم عهود بيننا ومواثق
فلا تذكروها للنسيم فإنه لأمثالها من نفخة الروض سارق
إلى كم جفوني بالدموع قريحة وحتام قلبي بالتفرق خافق[3]

فهو كلما تذكر هذه الصحبة والمجالس التي كانت تجمعهم خفق قلبه، وانهمرت عيناه بالدموع لفراق هذا الوطن وحنينه لأيام الوصال، كما نلحظ أن عشق الشاعر ورغبته في العودة إلى وطنه ترفعه إلى أعلى درجات الخيال فيجسم من النسيم إنساناً له ما للإنسان من خصال وصفات، إذ نجده يوصى

(١) ديوان البهاء زهير : ٢٦٥ .
(٢) شعر يحيى بن طالب الحنفى جمع ، د – على إرشيد المحاسنة مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى: ١٧٣ العدد (٤٨) ١٩٩٥ م .
(٣) ديوان البهاء زهير : ١٨٠ .

أصدقاءه من أهل مصر أن لا يذكروا العهود والمواثيق التي أخذها عليهم للنسيم حتى لا يشي بذلك فيحال بينه وبينهم، فهو باقٍ على العهد يحفظ وُدّهم وإن أضاعه البعض فيقول:

حفظت لكم وداً أضعتم عهوده ... فها هو مختوم لكم بختامي
أحن لكم كل يوم وليلة ... وأهدى بكم في يقظتي ومنامي
فلا تنكروا طيب النسيم إذا سرى ... إليكم فذاك الطيب فيه سلامى
فهل عائد منكم رسولي بفرحة ... كفرحة حبلى بشرت بغلام
ويرتاح قلبي للصعيد وأهله ... وعيش مضى لي عندهم ومقامي
وأهوى ورود النيل من أجل أنه ... يمر على قوم على كرام[1]

ففي الأبيات السابقة يتحدث الشاعر عن أصدقائه بمصر وكم هو يحفظ ودهم، ويعيش على أمل اللقاء بهم، يهدى لهم سلاما عاطراً عبر النسيم العليل، وينتظر قدوم البشير، ويبدى ارتياحه لأهالي الصعيد ويحن إلى أيام قضاها بينهم، يحفظون وده ومقامه، ثم نراه يعمد إلى ذكر رمز من رموز مصر والمصريين وهو النيل العظيم، وأنه لم يكتسب هذه العظمة والكرم إلا لأنه يمر بالكرام من أهل مصر.

❁❁❁❁❁

(١) ديوان البهاء زهير : ٢٣٦.

الفصل الثاني

الخصائص الفنية لشعر الحنين لمصر عند البهاء زهير

وبعد أن تناولت الدراسة بواعث الحنين لمصر عند البهاء زهير، تشرع في بيان أهم الخصائص الفنية التي ميزت هذا الشعر عنده حيث جاءت على النحو التالي:

الألفاظ والأساليب:

لا شك أن الألفاظ هي أداة الأديب التي من خلالها يكون عبارته، وبها يرسم صورته، ويحدد ملامح أسلوبها الذي يعرف به وإليه ينسب(١).

ومن خلال هذه الألفاظ يكشف الشاعر عن مكنون نفسه، وخوالج مشاعره، إذ هي كالمرآة العاكسة إن صفت وخلت من الشوائب التي تعوقها عن أداء وظيفتها، تمكنت من أن تنقل إلينا الصورة واضحة المعالم بينة القسمات لا يشوبها كدر ولا تشويه وهذا هو شأن الألفاظ في التجربة الشعرية(٢).

وبالتأمل في ألفاظ البهاء زهير نجد أنها تتميز بالسهولة والوضوح ؛ لذا وصفه ابن خلكان بقوله " كان من فضلاء عصره وأحسنهم نظما ونثرا، وشعره كله لطيف، وهو – كما يقال – السهل الممتنع"(٣)، وتحدث ابن تغرى بردي عن لغته بقوله " قال بعض الفضلاء: ما تعاتب الأصحاب ولا تراسل الأحباب بمثل شعر البهاء زهير وشعره في غاية الانسجام والعذوبة والفصاحة وهو السهل الممتنع"(٤)، وبهذا أيضا وصفه الصفدي في كتابه(٥).

---

(١) في ميزان النقد الأدبي ، د / طه أبو كريشه ، الطبعة الأولى – عام ١٩٨٦م : ٢١.

(٢) التجربة الشعرية بين النظرية النقدية والتطبيق النصي د / ناجى فؤاد بدوى –الطبعة الأولى – دار الأرقم عام ١٩٩٣م : ٩٢ .

(٣) وفيات الأعيان – لابن خلكان : ٢/ ٣٣٢ ، ٣٣٦.

(٤) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي – لابن تغرى بردى ، ت – د/ محمد محمد أمين، لهيئة المصرية العامة للكتاب : ٥ / ٣٧٠ .

(٥) الوافي بالوفيات – للصفدي : ١٤ / ١٥٦ .

وبالتأمل في شعر الحنين عند البهاء زهير على وجه الخصوص نجد أن لغته تساعدنا على معايشة الشاعر في معاناته، إذ جاءت محملة بكثير من الأسى الذي أحس به الشاعر بعيدا عن وطنه، كما نراها في كثير من حالات استعمالها بعيدة عن الطابع المعجمي الجامد الغامض، متميزة في الأعم الأغلب بالسهولة والرقة والوضوح في غير إسفاف أو ابتذال، مستمدة من بيئتيه البدوية والحضرية، كما يبدو في قوله مناديا على أصدقائه من أهل مصر ليعبر لهم عن مشاعر الشوق والحنين إلى وطنه مصر:

أسكان مصر إن قضى الله فثم عهود بيننا ومواثق
فلا تذكروها للنسيم فإنه لأمثالها من نفخة الروض سارق
إلى كم جفوني بالدموع قريحة وحتام قلبي بالتفرق خافق
ففي كل يوم لي حنين متجدد وفي كل الأرض لي حبيب مفارق
ستأتي مع الأيام أعظم فرقة فما لي أسعى نحوها وأسابق
و منخلقي أني ألوف وأنه يطول التفافي للذين أفارق
يحرك طرفي في الأرائك طائر ويبعث شجوى في الدجنة شارق
وأقسم ما أفارق في الأرض منزلا ويذكر إلا والدموع سوابق
وعندي من الآداب في البعد أفارق أوطاني وليس يفارق[1]

وبالنظر في الأبيات السابقة نجد أن الألفاظ التي عبر بها الشاعر عن حنينه لوطنه مصر، ألفاظ بسيطة واضحة لا يحتاج فهمها إلى الرجوع إلى المعاجم، وذلك في غير إسفاف ولا ابتذال، ومع ذلك نجدها تربط بين التعبير الشعري والمعاناة الشعورية، حيث عكست لنا ما بداخل الشاعر من حزن عميق، وحالة نفسية مضطربة، ولا أدل على ذلك من توظيفه لفظ الحنين

(١) ديوان البهاء زهير : ١٨٠ .

المباشر في قوله: (لي حنين) فأحسن توظيفه، وذلك حينما وصفه بأنه متجدد، ومنه قوله في قصيدة أخرى:

أحن لكم كـــل يوم وليـــــلة وأهدى بكم في يقظتي ومنامى[1]

كما نجده يستخدم الألفاظ الدالة على الحنين كلفظ: (الدموع) الذي كرره مرتين، وأيضا التعبير (بالنوى – والأسى)، وكذلك استخدام لفظة (الفراق) بتقلباتها الصوتية (التفريق – مفارق – فرقة – أفارق – يفارق)التي يبدو وراءها الشاعر مهموماً ينشد الأمان والاطمئنان، راجيا الخلاص من غربته الموحشة التي تحيط به من كل جانب، والرجوع إلى وطنه العزيز حيث ينعم بالأمن والأمان والأنس في رفقة أهله وأحبابه، وإن كان يعاب على الشاعر استخدام لفظة (قريحة) والصواب(قرحى) بمعنى قريح على وزن (فعيل)التي بمعنى اسم المفعول وتستعمل للمذكر والمؤنث، وذلك مثل جريح وجرحى، وأسير وأسرى.

وحديث النفس عن الوطن حديث ذو شجون، عمقه الشاعر عن طريق ندائه لأهل مصر جميعاً في قوله: (أسكان مصر)، والاستفهام في قوله: (إلى كم جفوني بالدموع قريحة؟) الذي يفيد التهويل في الحزن على الفراق، وأيضا قوله: (حتام قلبي بالتفريق خافق؟)، أي إلى متى يستمر القلب في اضطرابه؟، والقسم في قوله: (وأقسم ما فارقت في الأرض منزلا) الذي يؤكد من خلاله أنه لا يُذكر مكان من وطنه إلا وانهمرت عيناه بالدموع حنينا وشوقا لذلك المكان، كل هذه الأساليب أضافت إلى المعنى عمقاً نفسياً وإنسانياً خالصاً تجعله يأمل من كل قلبه العودة إلى وطنه مصر.

وإن كان الشاعر قد عمد في قوله:

يحـــرك طـرفي في الأرائـك طـــائر ويبعث شجوى في الدجنة شارق[2]

---

(١) السابق : ٢٣٦ .

(٢) ديوان البهاء زهير : ١٨٠ .

إلى ألفاظ يبدو فيها نوع من غرابة المعنى كقوله: (شجوى– الدجنة – شارق) نرى أنه فعل ذلك ليوظف الثقل فيها لإبراز بعض الجوانب الشعورية من خلال تتابع الهمزات، لكن هذا العسر في النطق وثقل الوقع، والإغراب في المعنى قد يكون مقصوداً من الشاعر لاسيما أنه عربي بدوى الأصل، أو لعله جاء مطابقاً لما يحسه من هم الغربة وثقلها على نفسه، لكنه الأمل الذي يعيش من أجله مثله لفظي (الطائر– والشارق) أي شبه الرجوع إلى الوطن بمطلع الشمس.

على هذا النحو عمد الشاعر إلى ألفاظ بعينها، ووظفها في الإفصاح عن مخبوء مشاعره كإيثاره للفظة (مصر) في قوله:

فرعى الله عهد مصر وحيا ما مضى لي بمصر من أوقات[1]

فإيثاره لهذه اللفظة يوحى بمعاناته النفسية في بعده عنها مما جعله يكررها، ولعل هذا يؤكد على الحنين المتواصل لهذا الوطن المحبب لنفسه.

وعلى هذا النحو أيضا في البيت الأخير من القصيدة السابقة نجده يوظف الألفاظ التي تكشف آلامه وأحزانه في غربته بعيدا عن مصر حيث يقول:

يا زمانى الذي مضى يا زمانى لك منى تواتر الزفرات[2]

فالألفاظ قد وظفت في مكانها، النداء المتكرر حسرة بعد حسرة وزفرة بعد زفرة، كل ذلك قد تكالب على الشاعر لبعده عن وطنه وأحبابه.

وكما أحسن البهاء زهير في توظيف الألفاظ وإيحاءاتها، واختار الموضع الملائم لها لكي يشف في وضوح عن خلجات نفسه، وتجسيد فكرته، فقد أجاد وأحسن ـ أيضا ـ في توظيف الأساليب في الوفاء بغايته من التأثير على متلقيه، وإحداث التجاوب النفسي المطلوب.

(١) السابق : ٤٨.

(٢) ديوان البهاء زهير : ٤٨.

ومن هذه الأساليب التي وظفها البهاء زهير في شعر الحنين الاقتباس والتضمين، حيث اقتبس من القرآن الكريم ليؤكد على صدق عاطفته تجاه وطنه وأهله وأحبابه وأصدقائه، ومن ذلك قوله:

وكيف وقد أضحت من الحسن زرابيها مبثوثة والنمارقُ[1]

فقد وصف الشاعر في الطبيعة المصرية التي بلغت مبلغا من الحسن والجم المتأثرا في ذلك بالبيان القرآني في قوله تعالى:{**وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ**}[2]، وعلى هذا النحو جاء قوله:

وبجانب الفسطاط لي قمر يعز له فراقي

قمر شربت له الفرا ق المر بالكأس الدهاق[3]

وفى ذلك إشارة إلى قوله تعالى:{**وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا**}[4] أي الممتلئة المتتابعة، وكأن الشاعر يتجرع مرارة فراق محبوبته بمصر كؤوساً ممتلئة متتابعة، وهذا الاقتباس أفاض على المعنى مزيداً من التهويل والمبالغة.

ومن ذلك قول الشاعر:

وما فاض ماء النيل إلا بمدمعى لقد مرج البحرين يلتقيان[5]

وفى البيت السابق اقتباس قرآني من قوله تعالى: {**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ**}[6]، الإشارة القرآنية هنا ناسبت حالة الشاعر النفسية ومراعاة النظير، فهذه معجزة ربانية التقاء البحر الملح مع العذب دون أن يبغى أحدهما على الآخر، وهذه صورة في غاية الروعة حيث ناسب بين دموع العين والماء

(١) السابق : ١٨٠ .
(٢) سورة الغاشية الآية : ١٥ – ١٦ .
(٣) ديوان البهاء زهير : ١٨٦.
(٤) سورة النبأ الآيتان : ٣٤ .
(٥) ديوان البهاء زهير : ٢٥٧.
(٦) سورة الرحمن الآية : ١٩ .

الملح، وناسب بين النيل والماء العذب، ومن خلال القصر " **بما وإلا** "في البيت أضفى الشاعر على معناه شيئاً من المبالغة والادعاء ليبرز مكانة الوطن في نفسه، وما تمور به من عواطف من الحنين المشتعل تجاهه.

ونجح الشاعر كثيراً في توظيف الأساليب الإنشائية في قصائده التي قيلت في الحنين لمصر أفضل توظيف؛ لتخدم تجربته الشعرية، ويخرج من خلالها الدفقات الشعورية، حيث قد أكثر من النداء والاستفهام والتمني، وهذه الأساليب تتفق وحالة الشاعر، فمرة يخاطب الأهل والأصدقاء من ساكني مصر، وهذا يتناسب مع النداء، ومرة يتساءل عن حاله، وعما يختلج صدره من شوق وحنين إلى تلك المفتقدات، وهذا يناسبه الاستفهام، وثالثة يتمنى العودة إلى الوطن والأهل والأقرباء والأحبة والذكريات الماضية الجميلة، وهذا يناسب أسلوب التمني.

إذ نجد أساليب النداء تتكرر في حنينه لأهل مصر، بأنه لا يتصبر على فراقهم فيقول:

فيا ساكني مصر تراكم بأني مالي عنكم الدهر سلوان[1]

وقوله أيضا:

أسكان مصر إن قضى الله فثم عهود بيننا ومواثق

فلا تذكروها للنسيم فإنه لأمثالها من نفخة الروض سارق[2]

فينادى الشاعر على أحبابه من أهل مصر قائلا إن قدر الله علينا فراق الوطن وتركه فإنه بيننا صلات قوية، وثمت عهود ومواثيق، فاحفظوا تلك العهود كما أحفظها عليكم فلا تفشوا أمرها للنسيم؛ حتى لا يسرقها منكم كما يسرق العطر من أزهار الرياض فهذه المواثيق طيبة عطرة مثلها، وكان الشاعر موفقا حينما استخدم الهمزة التي هي للقريب ليوحي بعمق الرابطة التي تربطه بالوطن وأبنائه.

(١) ديوان البهاء زهير : ٢٦٤- ٢٦٥ .
(٢) السابق : ١٨٠ .

وجاء أسلوب الشرط الذى أحسن الشاعر استخدامه في البيتين السابقين فأضاف بعداً للمعنى في قوله: (إن قضى الله بالنوى) فثم للدلالة على أن الفراق ليس بإرادته، وكذلك أسلوب النهى في قوله: (فلا تذكروها للنسيم) إذ ينهاهم عن البوح بالعهود والمواثيق للنسيم وذلك على سبيل النصح حتى لا يشي بها، ولا يخفى ما في ذلك من جمال التشخيص، حين أعطى للنسيم ما للإنسان على سبيل الاستعارة المكنية.

أما أسلوب الاستفهام فقد وظفه البهاء زهير في حنينه لمصر؛ ليدل على ما يكتنفه من حسرة وألم لفراق هذا الوطن الذي لا يرى له مثيلا قط، وكذا ألم فراق الأهل والخلان والأحبة فيقول:

إلى كم حياتي بالفراق مريرة وحتام طرفي ليس يلتذ بالغمض
وكم قد رأت عيني بلادا كثيرة فلم أر فيها مايسر وما يرضى
ولم أر مصر مثل مصر تروقنى ولا مثل ما فيها من العيش

نلحظ أنه كرر الاستفهام في البيتين الأول والثاني(ثلاث مراث)ليؤكد على مرارة هذا الشعور الذي يتملكه جراء الفراق، كما أحسن توظيف أسلوب النفي في الشطر الثاني من البيت الثاني، وشطري البيت الثالث أحسن توظيف؛ ليدل على أن مصر من أحب البلاد إليه، وأنه جاب بلادا كثيرة فلم يرق له غيره .

وفى موضع آخر يكرر أسلوب الاستفهام تعجباً وتحسراً على فراقه لمصر وأهلها، فيقول:

أأرحل من مصر وطيب نعيمها فأى مكان بعدها لي شائق
وكيف وقد أضحت من الحسن زرابيها مبثوثة والنمارقُ[٢]

(١) ديوان البهاء زهير: ١٤٩ .
(٢) السابق: ١٨٠ .

فقد كثف الشاعر في البيتين السابقين حيث استخدام أدوات الاستفهام كالهمزة ، و(أي)، و(كيف): حيث أفادت الأولى والثالثة التعجب والتحسر، أما الثانية فأفادت النفي، ودلالة هذا التكثيف رغبة الشاعر الجامحة في التعبير عن مشاعره الملتهبة والندم على فراق هذا الوطن المحبب إليه، فيتمنى الوصل بعد الفراق، بل يتخيل أن لم يكن قد فارقه أصلا، فجعل يتساءل في نفسه أنه ما كان ينبغي هذا الفراق مهما كانت الظروف، وما اضطرته من أسباب؛ لذا أستطيع أن أقول: أن البهاء زهير استطاع من خلال توظيفه لأسلوب الاستفهام أن يترك أثراً عميقاً في نفس المتلقي وإشراكه معه، كما أراد أن يدلل على صدق عاطفته في تجربته الشعرية.

كما استخدم البهاء زهير أسلوب التمني؛ ليبرز حنينه وشوقه إلى وطنه وأهله وأحبابه، إذ يتمنى عودة كل ما يفتقد، فيقول:

أيام مصر ليتها فديت بأيامي البواقي[1]

فقد وظف أسلوب التمني الممزوج بالحسرة على ما انقضي من أيام بعيدا عن مصر، فيتمنى أن لو دامت أيام مصر حتى لو افتداها بما تبقى من حياته.

كما يرجو من الله ـ ﷻ ـ أن يطوى أيام البعد طياً، وأن يعود في أسرع وقت إلى المحروسة فيقول:

فيا سأكنى مصر تراكم علمتم بأنى ما لي عنكم الدهر سلوان

عسى الله يطوى شقة البعد بينا فتهدأ أحشاء وترقأ جفان[2]

وهكذا أجاد البهاء زهير في التعبير عن تجسيد أفكاره بمختلف الأساليب، التي جاءت سليمة سهلة بعيدة عن الصعوبة والإغراب، فجاءت تحكى عن وضوح

(١) ديوان البهاء زهير: ١٨٦.
(٢) السابق : ٢٦٤- ٢٦٥ .

التجربة، وصدق العاطفة وصفائها، وجمال الصياغة وعدم المبالغة التي تخرج بالشعر عن حدود الاعتدال.

الصور والأخيلة:

الصورة من أبرز وسائل الشعر الفنية لنقل التجربة، فالقصيدة عبارة عن صورة كبرى تحمل في ثناياها مجموعة من الصور الصغيرة الجزئية [١].

فمن خلالها يمكن التمييز بين أديب وغيره، والتعرف على مقدرته الفنية، إذ هي" لغة الأديب التلقائية، والوسيط الأساسي الذي يكتشف به الشاعر أبعاد تجربته، ويتفهمها، ويمنحها المعنى والنظام والمغزى، بكل ما يتطلبه ذلك من تدفق الخيال وفاعليته وثرائه"[٢].

وملامح الصورة في شعر البهاء زهير تؤكد على مقدرته الفنية في رسمها وتوظيفها ،إذ لم يعمد إليها عمداً، ولم يجعلها مستهدفة،بل كانت تأتيه عفو الخاطر، مما جعل صوره وسيلة لتجسيد عاطفته وإبراز صوره.

ويبدو هذا التميز من خلال تصويره لمجالس أصدقائه وإخوانه من أهل مصر، ومدى شوقه وحنينه إلى تلك المجالس فيقول:

وإخوان صدق يجمع الفضل مجالسهم مما حَوَوهُ حدائق[٣]

ففي مفتتح البيت نجد الشاعر قد وسم المصريين بصفة تلازمهم ويتميزون بها، وهى الصدق والوفاء، إذ هم صادقون أوفياء دل على ذلك قوله (وإخوان صدق)، ثم صور مجلسهم بأنه مجلس جامع للفضائل والشمائل وذلك في قوله (يجمع الفضل شملهم) كناية عن نسبتهم إلى الفضل، وهذا أسلوب مستعمل في الأوساط المصرية (جمع الشمل)، وفي الشطر الثاني صورة جزئية قوامها التشبيه، حيث شبه مجالسهم العامرة بالعلم والأدب والفكاهة، بالحدائق الغناء الطيبة الثمار، العطرة الأزهار، وهى صورة توضح مكانة علماء وأدباء مصر.

(١) الالتزام في الشعر، أحمد أبو حاقة، طبعة دار العلم للملايين، عام ١٩٧٥م: ٣٧٨.
(٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي – د/ جابر عصفور، طبعة دار المعارف: ١٤٠.
(٣) ديوان البهاء زهير : ١٨٠ .

وفى القصيدة ذاتها نجده يصور هذه الآداب أروع تصوير، إذ يضفى عليها من صفات الإنسان الذي يأنس به في غربته، ثم حذف المشبه وأثبت له شيئاً من لوازمه وهو الإيناس، على سبيل الاستعارة المكنية في قوله:

وعندي من الآداب في البعد أفارق أوطاني وليس يفارق[1]

لقد أحسن الشاعر في تصوير تلك الآداب التي تعلمها من أهل مصر بالأنيس الذي لا يفارقه وإن فارق هو وطنه، والصورة توحي بحسن صفات أهل مصر وشمائلهم، ولا يخفى أن التشخيص كان سراً من أسرار جمالها، ومجيء (مؤنس) نكرة زاد من تعظيم الصورة وتفخيمها، هذا فضلا عن استخدام أحد المحسنات البديعية الذى جاء في مكانه دون تكلف (أفارق – وليس يفارق) وهو طباق بالسلب، قد زاد المعنى وضوحاً من خلال التضاد.

وكذلك تصويره لفراق محبوبة له بمصر بأن مذاقه مر، لمعالجة ما استقر في ذاته الشاعرة من الآلام والمعاناة، فيقول:

وبجانب الفسطاط لي قمر يعز له فراقي

قمر شربت له الفرا ق المر بالكأس الدهاق[2]

فعن طريق التشبيه البليغ صور محبوبته المصرية بالقمر، ومن خلال الصورة الشعرية المتمثلة في البنية الكنائية جسد فراقها بأنه مر المذاق، مستخدما في تشكيلها عنصر الذوق.

وعلى شاكلة الصورة السابقة نرى قوله:

إلى كم حياتي بالفراق مريرة وحتام طرفي ليس يلتذ بالغمض[3]

(١) المصدر السابق والصفحة .

(٢) ديوان البهاء زهير : ١٨٦.

(٣) المصدر السابق : ١٤٩ .

لقد أصبحت حياته مرة المذاق وذلك بسبب الفراق لوطنه وأهله، ومن ثم أصابه الأرق؛ لدرجة أنه يستبعد النوم، بل أصبح ينتظر النوم حتى يتلذذ برؤية طيف أحبابه في منامه، وكان قوام هذه الصورة التمثيل الكنائى.

هذه الحركة الفاعلة في الصور السابقة للشوق والحنين للأحبة والتأسي على الفراق معنوية غير محسة إلا في النتائج والآثار، فزهير جعل من هذه الأشياء المعنوية شخوصا حية تنبض بالحركة ليجسد من خلالها مشاعره وأحاسيسه.

وها هو ذا يصور مدى حبه لوطنه وأنه لا مثيل له، فيشبهه بالجنة التي يتمناها الجميع وينتظرونها، فيقول:

بلاد متى ما جئتها جئت جنة لعينيك منها كلما شئت رضوان(١)

فمصر التي أصبحت جنة الله في أرضه كما تصورها الشاعر تكشف لنا عن روحه الشفيفة المتعلقة بأمل الرجوع إلى هذا الوطن الذي هو كل مبتغاه ومنتهى رجاه فلا يبغى عنه بديلا.

إلى جانب هذا نجد الشاعر يخلط بين الحركة والنظر، فهذه صورة مفعمة بالنشاط والحركة المتمثلة في تتابع الفعل (جاء)، فما من أحد يجئ إلى مصر ويجول فيها كأنه تجول في جنة الرضوان، وما إن وقعت عين القادم عليها على شيء منها جاز رضوان لا رضا واحدا، وكأنه يومئ إلى أن كل شيء في جنة الخلد منه شيئان: شيء معروف في الدنيا وآخر غير معروف، وقال عنها في موضع آخر:

وكيف وقد أضحت من الحسن زرابيها مبثوثة والنمارقُ(٢)

هذا بالنسبة لصوره الجزئية، أما عن صوره الكلية التي تحمل في ثناياها عدة صور جزئية تتعانق حتى تكون المشهد الذي يريد الشاعر نقله إلى المتلقي، ومن هذا القبيل هذه الصورة الكنائية التي يقول فيها الشاعر:

---

(١) ديوان البهاء زهير : ٢٦٤.

(٢) السابق : ١٨٠ .

أســكان مصـــر إن قضـــى الله فثـــم عهـــــود بيننـــا ومـــــواثق
فـلا تذكـــــروها للنسيـــم فإنـه لأمثالهـا مـن نفحـة الـروض سـارق
إلى كـم جفـوني بالـدموع قريـحة وحتـــام قلـــبي بالتـــفرق خافـــق
ففـي كـل يـوم لي حنـين متجـدد وفى كـل الأرض لي حبيـب مفـارق[1]

فهذه لوحة فنية صور فيها أثر فراقه وحنينه أهل مصر، حيث تآزرت عدة صور في تكوين هذا المشهد، حيث نادى على أهل مصر إن قضى الله بالفراق فهناك عهود ومواثيق لا تذكروها للنسيم الذي بدى فى صورة إنسان يسمع ويسرق، ثم استبعد الرجوع إلى أهله ووطنه ففاضت عيونه بالدموع مدرارا حتى تقرحت فقال (جفوني بالدموع قريحة) كناية عن كثرة الدموع وتواصلها حتى تقرحت جفونه، وخفق قلبه واضطرب فقال (وحتام قلبي بالتفريق خافق) كناية عن شدة الشوق الذي ظهر في خفقان القلب، وساق الاستفهام لإظهار الألم والحسرة، من أجل ذا صار حنينه متجددا فقال (ففي كل يوم حنين متجدد وفي كل الأرض لي حبيب) وفي ذلك كناية عن شدة العذاب وطول المعاناة، وهكذا تضافرت هذه الصور حتى كونت لنا صورة كلية أفصحت عن شدة معاناة الشاعر ومدى صدقه في حنينه لوطنه وأهله حتى جعلنا نتأثر به ونشاركه هذا الشعور الحزين ولأليم.

وإذا ما نظرنا إلى الصور السابقة فسنجدها قديمة مطروقة ليس فيها ابتكار إنها تميزت بشيئين هما أن البهاء قد أضفى عليها من إبداعه ما جعلها حية تنبض بالحركة، كما أنها جاءت متلاحمة مع تجربته الشعرية، حيث مثلت شوق الشاعر وحنينه لوطنه وأهله، وحملت حزنه وبثه ومعاناته جراء الغربة والفراق.

الموسيقى:

تُعدّ الموسيقى من أهم خصائص الشعر العربي، إذ هناك " علاقة عضوية تجعل من النص الشعري صورة فنية متماسكة، فهي لب الشعر وعماده الذي لا تقوم له قائمة بدونه"[2].

(١) السابق الصفحة نفسها .

(٢) فصول في الشعر ونقده – د/ شوقي ضيف– دار المعارف مصر عام ١٩٧١م: ٢٩.

إذ لا يمكن لأحد أن يتصور" الشعر بدون موسيقى يتجلى فيها جوهره، وجوه الزاخر بالنغم، موسيقى تؤثر في أعصاب السامعين ومشاعرهم بقواها الخفية الساحرة، قوي تنشر موجات من الانفعال يحسون بتناغمهم معها"(١).

ومما لا شك فيه أن لكل موضوع الأوزان التي تناسبه، يقول الدكتور/ إبراهيم أنيس: "نستطيع ونحن مطمئنون أن نقرر أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزناً كثير المقاطع يصب فيه من أشجانه، وما ينفس عنه حزنه وجزعه"(٢).

وبالتأمل في ديوان البهاء زهير نجد أنه يميل إلى استعمال الأوزان القصار، كما يميل إلى المقطوعات وما دونها، نقول وعلى الرغم من ذلك نراه في شعر الحنين إلى الوطن قد وظف الموسيقى توظيفاً رائعاً في تجسيد أفكاره وإبراز مشاعره.

فأغلب ما نظمه في الحنين لمصر قد جاء على بحر الطويل، فمن ذلك قصيدة (لا مصر مثل مصري)(٣)، وقصيدة (حنين متجدد)(٤)، وقصيدة (شوق وحنين)(٥)، وقصيدة (وفاء)(٦)، وقصيدة (شوق إلى مصر)(٧).

ولقد وفق الشاعر حين نظم على بحر الطويل بوحداته الموسيقية الصوتية (فعولن –مفاعيلن – فعولن – مفاعيلن) في كل شطر، في القصائد السابقة، وذلك لاتساعه لأنات الشاعر وتأوهاته، ولأنه أكثر البحور شيوعاً في

(١) عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى – د/ عباس عجلان ، طبعة دار المعارف عام ١٩٨١م: ٢٩٩ وما بعدها.
(٢) موسيقى الشعر العربي – د/ إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو عام ١٩٦٥م : ١٧٧.
(٣) ديوان البهاء زهير : ١٤٩ .
(٤) السابق : ١٨٠ .
(٥) السابق : ٢٣٥ .
(٦) السابق : ٢٥٦ .
(٧) السابق : ٢٦٤ .

الاستعمال فليس "بين البحور ما يضارع بحر الطويل في نسبة شيوعه، فقد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم من هذا الوزن"(١).

ولا يخفى أن بحر الطويل من البحور الرحبة التي تسمح له في كل بيت أن يفرغ طاقة كبيرة من طاقاته الشعورية؛ ولأنه بحر يتسم بكثرة المقاطع الطويلة التي تتسع لأنات الشاعر، وتتلاءم مع أحزانه وعواطفه المتأججة، وبخاصة إذا أحسن استغلال سواكنه.

وقد أحسن البهاء زهير استغلال هذه السواكن حين عمد إلى حروف المد، فأكثر منها في ثنايا الأبيات، هذا بالإضافة إلى الوصل وهو حرف المد الناشئ عن حركة الروي.

فيقول معبراً عن حنينه الجارف إلى مواطن الجمال في وطنه مصر.

سقى واديا بين العريش وبرقة ... من الغيث هطال هناك وهتان
وحيا النسيم الرطب إذا سرى ... هنالك أوطان إذا قيل أوطان
بلاد متى ما جئتها جئت جنة ... لعينيك منها كلما شئت رضوان
تمثل لي الأشواق أن ترابها ... وحصباءها مسك يفوح وعقيان
فيا ساكني مصر تراكم علمتم ... بأني مالي عنكم الدهر سلوان
وما في فؤادي موضع لسواكم ... ومن أين فيه وهو بالشوق ملآن
عسى الله يطوى شقة البعد بينا ... فتهدأ أحشاء وترقأ جفان
على لذاك اليوم صوم نذرته ... وعندي على رأى التصوف

فقد أجاد الشاعر حينما استغل السواكن الموجودة في البحر حين عمد إلى حروف المد،فأكثر منها في ثنايا الأبيات كما هو واضح في قوله:(واديا –

(١) موسيقى الشعر العربي : ٥٩.
(٢) ديوان البهاء زهير : ٢٦٤– ٢٦٥ .

العريش – الغيث – هطال – هاتان – حيا – النسيم – أوطانا – الأشواق – عقبان – سلوان – ملآن – أحشاء – جفان – شكران).

أضف إلى ذلك حرف المد الناشئ عن حركة الروي(الوصل) وهو حين يأتي يلزم مجيئه في كل أبيات القصيدة، وبجانب(الوصل) يوجد (الردف) وهو حرف المد الواقع قبل حرف الروي، وقد جاء (ألفاً).

وعلى هذا النحو نجد أن في كل بيت ما يزيد على سبعة أحرف من حروف المد في معظم الأبيات – مما– يعطى فرصة للشاعر في إخراج الزفرات التي تجيش في صدره، مما يساعده على التنفيس عن حار العواطف الحزينة التي تمور في وجدانه، ويسمح خروج الهواء معها بخروج قدر كبير من نفثات الصدر، وتأوهات الشعور، وبخاصة حين يطيل الناطق بها صوته قدر الطاقة وهو ما يتواءم مع مضمون القصيدة.

ثم يليه بحر (الكامل) الذي نظم عليه في الحنين لمصر قصيدته الرائعة (ماذا لقيت من البعاد)، وقد عرف هذا البحر بأنه قادر على الإخبار عن إحساس الشاعر، ومشاعره وألمه وحزنه، وهو أيضا من أكثر بحور الشعر جلجلة وحركات، وفيه لون خاص من الموسيقى إن أريد به الجد فخماً جليلاً مع عنصر ترنمي ظاهر[1].

ولنقرأ قوله من هذه القصيدة :

أحبابنا ماذا لقيت من البعاد وما ألاقى

لو تشرفون رأيتم من مصر نيران اشتياقي[2]

ولعلك تلاحظ الجمال، والجلال والأبهة والترنم، حيث يأتيك الشاعر في البيت الأول بالقرار، وفي البيت الثاني يعاودك بالجواب.

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ،د/عبد الله الطيب المجذوب ، دار الفكر:١/ ٢٤٦،وما بعدها(بتصرف).

(٢) ديوان البهاء زهير : ١٨٦ .

ومن البحور التي استعملها البهاء زهير في الحنين لمصر بحر(الخفيف) الذي نظم عليه قصيدة (إمام المحبين)[١]، هو بحر ذو مقدرة على التعبير عن حنين الشاعر، ويعد أكثر استيعاباً لانفعالاته القوية وتحسره، وألمه لما يفتقده من الأحبة.

هذا إلى جانب البحور السابقة، هناك بحران استعملهما البهاء زهير في حنينه لمصر بقلة–أسهما في إبراز موسيقاه، وهما (بحر المتدارك) حيث نظم عليه مقطوعة صغيرة كتبها وهو بآمد إلى أصدقائه بمصر[٢]، وأيضاً بحر (الرمل) الذي نظم عليه مقطوعة صغيرة أيضا وهي (مرح القصور)[٣].

هذا بخصوص الوزن ومدى التوفيق الذي حالف الشاعر، فقد كان بمثابة النحات الذي يمتلك أدواته ويسيطر عليها بعبقريته وفنه، فيبسط الأسارير أو يجعدها، وينحل الخصور أو يملؤها في دقة متناهية، وبراعة فائقة.

أما بخصوص القافية فلها أهميتها الكبرى في الموسيقى الخارجية فـ " هي بمثابة الفواصل الموسيقية، يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن"[٤].

فهي لا يمكن الاستغناء عنها في القصيدة بحال من الأحوال؛ وذلك لما تعطيه من جرس موسيقى يتضافر مع الوزن، ويكمل بهما التعبير الموسيقى "فهي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية "[٥].

---

(١) ديوان البهاء زهير: ٤٧– ٤٨.
(٢) السابق : ٧٧ .
(٣) السابق : ١١٦ .
(٤) موسيقى الشعر العربي – د/ إبراهيم أنيس : ٢٤٦ .
(٥) العمدة لابن رشيق القيروانى، ت – محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة بيروت– الطبعة الخامسة – عام ١٩٨١م: ١/١٥١.

ومن خلال ما قد تم عرضه من قصائد، يتبين لنا عناية الشاعر الفائقة في اختيار قافيته لموضوعه، فمن الأحرف التي اختارها روياً لقوافيه التي نظمها في الحنين لمصر، (القاف) وكررها مرتين، و(النون) وكررها مرتين، و(الضاد)، و(الميم)، و(الراء)، و(التاء)، وهذه القوافي تتميز بعلو نبرتها، وفخامتها وقوة جرسها، وهي مناسبة لغرض الحنين، ولا يوجد بينها قواف شاذة، اللهم إلا قافية (القاف) فقد جانبه التوفيق حينما استخدمها مرتين، حيث قد عاب بعض النقاد استعمالها وعدها من القوافي النافرة(١).

ويلاحظ أن كل القوافي التي استخدمها البهاء زهير في حنينه لمصر قد جاءت مطلقة، قد تحركت أحرف رويها، ولزم عن هذا التحرك حرف مد (الوصل) من جنس حركات الروى، مما ساعده على أن يتخلص تباعاً من نفثات صدره المتبقية بعد الفراغ من كل بيت، وأن يستنفد كل طاقاته الشعورية والعاطفية الملتاعة.

ومن خلال هذا الإتباع– الوصل – يجعل " النهاية قمة التركيز الإيقاعي للبيت، فالأصوات كالأجسام المتحركة "(٢).

إذا كانت هذه براعة الشاعر في الموسيقى الخارجية ممثلة في الوزن والقافية، فهي ليست بأقل من مهارته أيضا في الموسيقى الداخلة.

وتتمثل الموسيقى الداخلية "في الكلمات بما لها من خصائص صوتية لها قدرة على تصوير المعنى"(٣).

---

(١) أصول النقد للدكتور/ أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – الطبعة الثامنة– عام ١٩٧٣م : ٣٢٥– ٣٢٦.

(٢) موسيقى الشعر بين الثبات والتطور، د / صابر عبد الدايم ، مكتبة الخانجى القاهرة – الطبعة الثانية – عام ١٩٩٣م : ١٦٩.

(٣) اتجاهات وأراء في النقد الحديث، د/ محمد نايل، طبعة – الرسالة – القاهرة – عام ١٩٧١م: ٨٥ .

وهذه الخصائص تتبع من رقة الألفاظ وجمالها ومقدرتها الفنية على التعبير عن المعنى المراد في تآلف وانسجام، وتآخى أفكار القصيدة، حيث إن التلاؤم بين أجزاء القصيدة، ينتج قوي موسيقية خصبة تبرز من خلالها جماليات القصيدة الخاصة التي تميزها عن قصيدة أخرى، وهذا النوع من الموسيقى يتصل بجرس الألفاظ، وخواصها الصوتية وأنماطها البديعية، وكذلك لها صلة بطريقة تأليف الكلام(١).

ومن خلال براعة فائقة ومقدرة فنية لدى البهاء زهير نجد تحقيق الانسجام في شعره عن طريق تكرار الأصوات المتماثلة في البيت الواحد، مما يضيف بعداً صوتياً يكسب الصياغة الشعرية الحيوية والجمال فيقول:

حبـــــذا دور علـــى النيـــــ ـــــيل وكاســـــات تـــــدور
ومســـــــرات تمـــــــوج ال أرض منهـــــــا وتمـــــــور
وقصـــــور مـــــا لعـــــيش نلتـــــه فيهـــــا قصـــــور(٢)

فإذا تأملنا الأبيات السابقة لوجدنا تقسيمات الأصوات في كل شطر متفقة ومتناسقة تماماً مع الشطر الثاني، ومثل هذا التناسق والتقسيم يضيف إلى الموسيقى الشعرية أبعاداً صوتية جديدة، تكسب الصياغة الشعرية مزيداً من الحيوية والجمال ومنه قوله :

ففـي كـل يـوم لي حنـين متجـدد وفى كـــــل الأرض لي حبيـــــب

ولا يخفى ما فيه من حسن تقسيم له تأثير موسيقى جميل.

هذا وقد ضاعف الشاعر من الجمال الموسيقى والتنغيم الصوتي "بترديده لبعض الحروف التي لها جرس معين في البيت الواحد مما يوحى بالمعنى

(١) موسيقى الشعر العربي – د/ إبراهيم أنيس : ٤٥ .
(٢) ديوان البهاء زهير : ١١٦ .
(٣) ديوان البهاء زهير : ١٨٠ .

ويقويه، ويخلق نوعاً من الموسيقى الداخلية، ويزيد في تموجها تآلف الحروف والألفاظ وتجاوبهما معاً"[١].

وما من شك أن النفس تستريح وتسعد إلى هذا التكرار شريطة أن يكون من غير إسراف؛ لأن " الإسراف في تكرار الحروف ليس أمرا مرغوباً لأنه يذهب بجمال الشعر ويجعل نطقه صعباً، ولذلك فالمهارة تكون في توزيع الحرف حين يتكرر كما يوزع الموسيقى الماهر النغمات في نوتته"[٢].

وقد كان البهاء زهير في غاية البراعة حينما أحسن التوزيع للحرف حين يتكرر، ومن ذلك تكرار حرف (الراء) في قوله:

إلى كم حياتي بالفراق مريرة وحتام طرفي ليس يلتذ بالغمض

وكم قد رأت عيني بلادا كثيرة فلم أر فيها مايسر وما يرضى

ولم أر مصر مثل مصر تروقنى ولا مثل ما فيها من العيش

وبإمعان النظر في الأبيات السابقة نجد براعة الشاعر في حسن توزيعه لحرف (الراء) ومتعة موسيقاه، أضف إلى ذلك إيثاره لهذا الحرف دون سواه لما له من جرس قوي – فهو من الحروف المجهورة– وإيقاعه مرتفع يهتز معه الوتران الصوتيان، يوحى بالمعنى ويقويه، ويضاعف من التنغيم الموسيقى داخل الأبيات، فتألفه الأذن وتتلهفه النفس، وتشارك الشاعر مشاعره وأحاسيسه، وهذا إن دل فإنما يدل على تجسيد التوافق النظمي، والانسجام التعبيري لدى الشاعر فطرياً.

(١) الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي – د/ عباس الحرارى – منشورات الثقافة المغرب/ط١ ١٩٧٤م : ٢٣٤.

(٢) موسيقى الشعر العربي – د/ إبراهيم أنيس ، ط القاهرة عام ١٩٥٥م : ٣٥ .

(٣) ديوان البهاء زهير: ١٤٩.

أضف إلى ذلك أنه يوجد عناصر إيقاعية أخرى قد استخدمها الشاعر تثرى القصيدة بالنغم الموسيقى المؤثر في النفس كالوسائل البديعية من جناس وطباق، وتصريع وسجع وغيرها.

أما الجناس فلم يقصد إليه الشاعر بقصد التجميل للألفاظ، وإنما جاء به من أجل أنه " تفنن في طرق ترديد الأصوات في الكلام، حتى يكون له نغم موسيقى، وحتى يسترعى الآذان بألفاظ كما يسترعى القلوب والعقول بمعانيه، فهو مهارة في نسج الكلمات، وبراعة في ترتيبها وتنسيقها، ومهما اختلفت أصنافه يجمعها أمر وأحد، وهو العناية بحسن الجرس ووقع الألفاظ في الأسماع "[1].

وعلى هذا النحو يحدثنا البهاء زهير عن أحاسيسه ومشاعره، مفصحاً عن مدى اشتياقه وحنينه تجاه وطنه مصر قائلاً :

لـــو تشـــــرفون رأيتـــــم مـــن مصـــر نـــيران اشـــتياقي

نفـــس يصـــــعده الجـــوى راق ودمـــــع غـــــير راق[2]

وإنه ليبدو لنا أن الشاعر قد ركز على الجناس في غير تكلف ليوفر لألفاظه الجرس الموسيقى، والإيقاع المؤثر الذي تطرب له الآذان، وتستمتع به الأسماع.

وأما الطباق فنلحظه في قوله:

يحـــرك طـرفي في الأرائـك طـائر ويبعث شجوى في الدجنة بارق[3]

فالطباق في البيت السابق بين (الدجنة – وبارق)، قد وضح المعنى بالتضاد، كما أحدث امتزاج أحاسيس الشاعر مع الطبيعة، ويتضح ذلك في تحريك مشاعره بغناء الطائر، وثورة شوقه مع ابرق، فالطائر ينوح حنيناً إلى إلفه

(١) موسيقى الشعر العربي – د/ إبراهيم أنيس : ٣٩ .

(٢) ديوان البهاء زهير : ١٨٦ .

(٣)السابق : ١٨٠، طبعة الذخائر وفيها (شارق) بدلا من (بارق) طبعة دار بيروت : ٢٣١.

فيذكر الشاعر بوطنه، والبرق يلمع فيؤجج نار الشوق في ظلام الغربة، وهكذا يتبين لنا مدى اندماج الشاعر مع الطبية وكيف كانت باعثاً له على الحنين لوطنه.

وأما التصريع: وهو "تصيير مقطع آخر المصراع في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها"(١)، وذلك كقوله :

أنا في الحب صاحب المعجزات جئت للعاشقين بالآيات(٢)

وقوله:

أسفى على زمن التلاقي والعيش متسع النطاق(٣)

وقوله :

سلامي على من لا يرد سلامي لقد هان قدري عنده ومقامي(٤)

فقد اشترك العروض مع الضرب في قافية واحدة وهي حرف (التاء)، وحرف(القاف)، وأيضا (الميم)، وواضح أن له قيمة موسيقية بالغة التأثير تتمثل في أنه يفيد السامع بإيقاع البيت الأول قبل تمامه، هذا فضلا عن كونه" يوقفك على قافية القصيدة بتمامها قبل اكتمال البيت الأول"(٥).

(١) نقد الشعر لقدامة بن جعفر، ت – د/ محمد عبد المنعم خفاجى – ط – دار الكتب العلمية – بيروت: ١/٥.

(٢) ديوان البهاء زهير : ٧٧ .

(٣) ديوان البهاء زهير: ١٨٦ .

(٤) المصدر السابق : ٢٣٥ .

(٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، ت – د/ أحمد الحوفي، ود/ بدوى طبانة – ط – دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة : ١/ ٣٣٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد... فهذه الدراسة التي جاءت بعنوان" الحنين في شعر البهاء زهير بين الباعث والفن" ، وقد أظهرت عدة أمور نستطيع أن نجمل فيها ما يلي:

لعل تمتع الشاعر بالصدق والوفاء جعله دائم الحنين إلى وطن ولد فيه وإليه ترجع جذوره وهو (الحجاز)، ووطن نشأ به وفيه ترعرع، ومن مناهله تعلم وحاز أعلى الرتب إنها (مصر)، فهو شاعر أصيل شديد الانتماء والتعلق بالوطن، فوجدناه إذا كان بالصعيد حن إلى الحجاز:

أحن إلى عهد المخصب من منى وعيش به كانت تروق ظلاله

وإذا ما ابتعد عن الصعيد حن إليه وأهله فيقول:

ويرتاح قلبي للصعيد وأهله وعيش مضى لي عندهم ومقامي

لكنه كان أشد تعلقا بالبيئة المصرية فكان دائم الحنين إلى حياة جميلة عاشها فيها ثم فارقها، وتغنى بجمال طبيعتها التي هفت نفسه إليها، وتذكر أهلا وأحبابا عاش معهم في ظلالها أجمل الأيام، مما دل على شدة تعلقه بهذا الوطن، وانتمائه العاطفي له.

ولقد عايش الشاعر تجربة الفراق للوطن والأهل؛ فجاء حنينه خليطا من الحزن ومعاناة آلام البعاد والحرمان ممزوجاً بنغمة عاطفية جعلته قوي التأثير في متلقيه، هذا فضلا عن سلاسة التعبير، وصدق المشاعر.

فرأيناه يجعل من الوطن ذاتاً إنسانية، يحن إليها دائما، حتى أصيب بانشطار وجداني جعله في حالة وجد وأنين، ينادى على أهل مصر تارة، ويعاتب نفسه تارة أخرى بأنه ما كان ينبغي له أن يفارقها؛ لذا كان يعيش على أمل العودة إليها مرة ثانية.

فالحنين إلى الوطن عاطفة إنسانية من أقوى وأجمل العواطف الإنسانية، فالشاعر لا يلتفت إلى الوطن بعينه فحسب، بل بأعماق قلبه أيضا، ويرى في

ذلك رابطا إنسانيا ونفسيا وقوميا، لاسيما أن مصر أرض المنشأ لا أرض المولد، ومع ذلك وجدنا له شعورا قاتلا لفراقها.

هذا وبالله التوفيق ومنه وحده العون والسداد، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

دكتور

حامد سعد على خضرجى جاويش

مدرس الأدب والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- اتجاهات وآراء في النقد الحديث، د / محمد نايل، طبعة الرسالة- القاهرة – عام ١٩٧١م.
٣- أصول النقد للدكتور/ أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – الطبعة الثامنة – عام ١٩٧٣م.
٤- الأعلام –للزركلي– دار العلم للملايين – ط٥ عم ٢٠٠٢م.
٥- الالتزام في الشعر، أحمد أبو حاقة، طبعة دار العلم للملايين، عام ١٩٧٥م.
٦- الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي– د/ عباس الحرارى– منشورات الثقافة المغرب /ط ١ ١٩٧٤م.
٧- التجربة الشعرية بين النظرية النقدية والتطبيق النصي د / ناجى فؤاد بدوى–الطبعة الأولى – دار الأرقم عام ١٩٩٣م.
٨- الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي د – إبراهيم حور – دار نهضة مصر للطبع والنشر.
٩- الحنين في شعر صدر الإسلام، حبيب محمود وهران، رسالة دكتوراه، جمعة تشرين، دمشق ٢٠٠٣.
١٠- الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام – د/ أحمد بدوى، ت٣٣٧هـ – القاهرة – مكتبة نهضة مصر ١٩٥٢م.
١١- ديوان البهاء زهير، طبعة الذخائر– طبعة دار بيروت.
١٢- ديوان البهاء زهير، ت :محمد أبو الفضل، ومحمد طاهر الجبلاوي، الطبعة الثانية، دار المعارف، سلسلة الذخائر.
١٣- سير أعلام النبلاء – الذهبي – تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط– مؤسسة الرسالة ط٣.

١٤- شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية – رسالة ماجستير – سليمان رولا ناصر، جامعة دمشق (د. ت).
١٥- شعر الطبيعة في الأدب العربي د – سيد نوفل، دار المعارف :ط الثانية.
١٦- شعر يحيى بن طالب الحنفي جمع، د – على إرشيد المحاسنة مجلة مجمع اللغة العربية الأردني :العدد (٤٨) ١٩٩٥ م.
١٧- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي – د/ جابر عصفور، طبعة دار المعارف.
١٨- العمدة لابن رشيق القيرواني، ت – محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة بيروت– الطبعة الخامسة – عام ١٩٨١م.
١٩- عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى – د/ عباس عجلان، طبعة دار المعارف عام ١٩٨١م.
٢٠- فصول في الشعر ونقده – د/ شوقي ضيف – دار المعارف مصر عام ١٩٧١م.
٢١- الفن ومذاهبه في الشعر العربي أحمد شوقي ضيف، دار المعارف بمصر– ط ١٢.
٢٢- في ميزان النقد الأدبي، د / طه أبو كريشه، الطبعة الأولى – عام ١٩٨٦م.
٢٣- لسان العرب لابن منظور – دار صادر بيروت للطباعة والنشر عام ١٩٥٥م.
٢٤- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، ت – د/ أحمد الحوفي، ود / بدوى طبانة– ط – دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة.

٢٥- المخصص لابن سيدة، ت/ خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى : ١٤١٧ هـ -١٩٦٦م
٢٦- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د/عبد الله الطيب المجذوب، دار الفكر.
٢٧- معجم المؤلفين– لرضا كحالة، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي– بيروت.
٢٨- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي – لابن تغرى بردي، ت– د/ محمد محمد أمين، لهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٩- موسيقى الشعر العربي – د/ إبراهيم أنيس، ط القاهرة عام ١٩٥٥م، طبعة أخرى مكتبة الأنجلو عام ١٩٦٥م.
٣٠- موسيقى الشعر بين الثبات والتطور، د / صابر عبد الدايم، مكتبة الخانجى القاهرة – الطبعة الثانية – عام ١٩٩٣م.
٣١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – لابن تغرى بردي، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى القاهرة.
٣٢- نقد الشعر – قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، ت٣٣٧هـ – مطبعة الجوائب – قسطنطينية الطبعة :الأولى عام ١٣٠٢هـ.، وطبعة أخرى : د/ محمد عبد المنعم خفاجي– ط – دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٣- الوافي بالوفيات –للصفدي– تحقيق / أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى – إحياء التراث – بيروت عام ٢٠٠٠م
٣٤- وفيات الأعيان – لابن خلكان، ت / محمد محيى الدين عبد الحميد – دار نهضة مصر.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	مقـــدمـــة	٦١٧
٢	التمهـيـــــد: (التعريف بالشاعر)	٦١٨
٣	الفصل الأول: بواعث الحنين إلى مصر في شعر البهاء زهير.	٦٢٨
٤	الفصل الثاني: الخصائص الفنية لشعر الحنين لمصر عند البهاء زهير.	٦٣٩
٥	الخاتمة	٦٦٠
٦	المصادر والمراجع	٦٦٢
٧	فهرس الموضوعات	٦٦٥